إسْرَائِيل تُدْخِلُ الطَّائِفِيَّةَ لِلْمَغْرِب

رحمان النوضة

قَبْلَ تَنَاوُل حَدَث ***إدْخَال إسْرَائِيل لِلطَّائِفِيَة إلى المغرب***، أُشِيرُ إلى أنّ شعب المغرب مَحْرُوم مِن ***وَسَائِل إعْلَام مُسْتَقِلَّة وَمِهَنِيَة***، وَقَادِرَة على إخْبَار هذا الشعب بِمَا يَحْدُث، وَمُؤَهَّلَة لِتَنْبِيه الشعب إلى الْأَخْطَار التي يُحْتَمَل أَنْ تَنْجُمَ عَمَّا يَحْدُث. وَمِن بَيْن أَدْوَار الصَحَافِيّين، أن يَعْمَلُوا كَمُخْبِرِين، وَكَمُبَلِّغِين، وَكَمُحَلِّلِين، وَكَنُقَّاد، وَكَمُنَبِّهِين، وَكَمُثَقَّفِين مُنَوِّرِين، وَلَيْسَ كَمَا يَفْعَل بعض الصَّحَفِيّين،الذين يَبْقَوْنَ مَشْغُولِين فقط بِمَدَاخِيلِهِم النَقْدِيَة.

مِن فَتْرَة لِأُخْرَى، تَحْدُثُ في المغرب تَطَوُّرَات هَامَّة، إمَّا بِمَنَافِعِهَا، وَإمَّا بِأَضْرَارِهَا، وإمّا بِمَخَاطِرِهَا الاستراتيجية. لكن شعب المغرب لَا يَعْلَمُ حُدُوثَ هذه التَطَوُّرَات، أو لَا يُحَلِّلُهَا، أو لَا يَفْهَمُهَا. وذلك لأن طَبِيعَة النظام السياسي القائم في المغرب، تَجْعَلُه لَا يَقْبَل بِأَن تُوجَدَ في المغرب ***مَنَابِر إعْلَامِيَة، مُتَمَيِّزَة بِكَفَاءَتِهَا، وَبِاسْتِقْلَالِهَا، وَبِنَزَاهَتِهَا، وَبِنَقْدِهَا، وَبِتَنْوِيرِهَا***. ولأن هذه المَنَابِر الإعْلَامِيَة المغربية، حَتَّى وَإِنْ وُجِدَت، لَا تستطيع أن تُخْبِرَ الشعب بِحُدُوث هذه التَطَوُّرَات، أو أن تَشْرَحَ لَه أَسْبَابَهَا، وَأَبْعَادَهَا، وَدِينَامِيَتَهَا، وَنَتَائِجَهَا المُحْتَمَلَة في المُسْتَقْبَل. ولأن مَا مَارَسَتْهُ دولة المغرب مِن قمع سياسي، على اِمْتِدَاد عشرات السِنِين، أَدَّى إلى القَضَاء على الصحافة المُسْتَقِلَّة، أو الوَطَنِيَة،

أو التَقَدُّمِيَة، أو النَاقِدَة. وَلم تَبْقَ في المغرب سِوَى المَنَابِر الإِعْلَامِيَة الخَاضِعَة، أو المُوَالِيَة لِلنِظَام السياسي القائم، أو اليَمِينِيَّة، أو الرَّدِينَة، أو المُنَاصِرَة لِلرَّأْسَمَالِيَة التَبَعِيَة. وَمُعْظَمُ هذه المَنَابِر الإِعْلَامِيَة، بِمَا فيها الإِذَاعَات، والتَلْفَزَات (العُمُومِيَة والخُصُوصِيَة)، تَتَمَيَّزُ بِسَطْحِيَّتِهَا، أو بِرَدَائَتِهَا، أو بِمُغَالَطَاتِهَا، أو بِتَرْدِيدِهَا لِدِعَايَات سِيَّاسِيَة، تُسَبِّبُ لَدَى المُوَاطِنين الجَهْلَ، أو التَلَفَ، أو الدَّوْخَة، أو السَذَاجَة، أو البَلَادَة. فَغَدَى شعب المغرب مِن ضِمْن شُعُوب العالم التي لَا تَعْرِف، أو لَا تَفْهَم، مَا يَجْرِي دَاخِل وَطَنِهَا، وَلَا تُدْرِكُ عَلَاقَاتِ وَطَنِهَا بِمُخْتَلَف الكِيَانَات والمُؤَسَّسَات المَوْجُودة في العالم.

وَأَذْكُرُ بعض الأمثلة مِن بَيْن هذه التَطَوُّرَات التي تَحْدُث حَالِيًّا داخل المغرب: مثل «***التَحَالُف الاِسْتِرَاتِيجِي بين الوِلَايَات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَة وَالسُلْطَة السِيَاسِيَة التَبَعِيَة في المغرب***»، وَ«***اِتِّفَاقِيَة التَطْبِيع المُوَقَّعَة بين دولة المغرب ودولة إسرائيل***»، وَ***تَعْمِيم مَنْح «الجِنْسِيَة المغربية» لِقُرَابَة 700 ألف «إسرائيلي مِن أَصْل مَغْرِبِي»***، وَإِقْدَام دولة المغرب على «***تَنْظِيم الطَّائِفَة اليَهُودِيَة***» داخل المغرب، إلى آخره.

وَأَكْتَفِي في المقال الحَالِي بِتَنَاوُل مَوْضُوعَ إِقْدَام دولة المغرب على «***تَنْظِيم الطَائِفَة اليَهُودِيَة***» داخل المغرب. بَيْنَمَا أَتَنَاوَلُ المَوَاضِيع الأخرى المذكورة سَابِقًا، في نُصُوص أُخْرَى. (وهي مَجْمُوعَة في الصِّيغَة المُحَيَّنَة مِن كِتَابِي المُعَنْوَن بِـ "نَقْد الصَّهْيُونِيَة"، وَرَابِطُه هو: https://livreschauds.wordpress.com/2017/08/07/نَقْد_الصَهْيُونِيَة/).

وَمِن الصَّعْب على أيّ مُواطِن مغربي أن يَعْثُرَ على أَيَّة قَنَاة تَلْفَازِيَة، أو إِذَاعَة، أو جَرِيدَة، أو دَوْرِيَة في المغرب، تَشْرَحُ له مِن أَيْنَ أَتَتْ هذه الأَحْدَاث، وَإِلى أَيْنَ تَسِير، وَمَا هِيَ خَلْفِيَّاتُها الخَفِيَة، وما هي النَتَائِج التي

يُمكن أن تُؤَدّيَ إِلَيْهَا. وَيُمكن لِكَثِير من المُوَاطِنِين، وَبِالصُّدْفَة فقط، أن يَعْثُرُوا، أو أن لَا يَعْثُرُوا، على هذه الأَخْبَار الهَامَّة.

وَهَكَذَا، حَسَب بَيَان المُتَحَدِّث باسم القصر الملكي عبد الحق لَمْرِيني، وَفي خِتَام أشغال "***المجلس الوزاري***" المغربي (الذي يُشارك فيه الملك، وَوُزَرَاء الحكومة)، والذي اِنْعَقَد في القَصْر المَلَكِي في الرباط، في يوم 13 يُولْيُوز (تَمُّوز) 2022، عَرَضَ وزير الداخلية المغربي عبد الوَافِي لَفْتِيتْ، أمام الملك محمد السّادس، مُلَخَّصَ التَدَابِير التي أَعَدَّتْهَا هذه الوزارة، بِهَدَف «***تنظيم الطائفة اليهودية المغربية***»(!). وتشمل هذه التدابير، «إنشاء مجموعة من الهيئات، مِنْ بَيْنِهَا تَنْظِيم ***المجلس الوطني لِلطَّائِفَة اليَهُودية المغربية***»(!). [كَأَنّ هذا المجلس هو حكومة مُوَازِيَة خاصّة بِـ «الإسرائيليّين مِن أصل مغربي»]. «وَسَتَنْبَثِقُ عن هذا المجلس المذكور ***لِجَان جِهَوِيَة***، تَقُوم بتدبير القضايا والشؤون اليومية لأفراد الطَائِفَة اليهودية»(!). وَمِنْ ضِمْنِ مَهَامّ هذا المجلس: «السَّهَر على ***تدبير شُؤُون الطَائِفَة اليَهُودية(!)***، والمحافظة على التُرَاث، والإشعاع الثقافي، والشعائري، للديانة اليهودية، وَقِيَّمِهَا المغربية»[1]. وتشمل هذه التَدَابِير كذلك إِنْشَاء «***لجنة اليهود المغاربة المُقِيمِين بالخارج***». وهدفها هو «العمل على ***توثيق روابط اليهود المغاربة في الخارج مع بَلَدِهِم الأصلي المغرب***»(!). وَقَال البَيَان الرَّسْمِي إن «هذه التَرْتِيبَات الجديدة جاءت بعد مشاورات مع ممثلين وشخصيات بارزة من الجَالِيَة اليَهُودية». وَلَا نَعْلَمُ ما هي المَقَايِيس التي إِخْتِيرَ على أَسَاسِهَا أَوْلَائِكَ «المُمَثِّلِين والشَخْصِيَّات»، هل على أساس على أَسَاس المَرْتَبَة الدِّينِيَة، أَمْ التَرْوَة الرَأْسَمَالِيَة، أم على أساس القُرْب مِن الدُوَل الإِمْبِرْيَالِيَة. وخلال نفس "المجلس الوزاري" المذكور أعلاه والذي تَرَأَّسَهُ الملك، تم اعتماد «***مِيثَاق جَدِيد لِلْاِسْتِثْمَارَات***». وهذا

«المِيثَاق» هو تَحْيين لِقَانُون الاِسْتِثْمَارَات المغربي القَدِيم، لِكَيْ يَتَكَيَّفَ مَعَ الحَاجِيَّات الخَاصَّة لِـ «الإسرائيليّين من أصل مغربي».

وَلِتَلَافِي سُوءَ التَفَاهُم، يجب تَدْقِيق بعض المَفَاهِيم. فَحِينَمَا تَكَلَّمَت اليومَ السلطة السياسية في المغرب عن «***تنظيم الطائفة اليهودية المغربية***»، فَإِنَهَا لَمْ تَقْصِد تَقْنين، وَتَنْظِيم، مَحَاكِم المَنْظُومَة العَائِلِيَّة، والتي هي مَعْرُوفَة، وَقَدِيمَة، وَمَأْلُوفَة، والتي تَتَخَصَّصُ في قَضَايَا الزَوَاج، والطَلَاق، وَالْإِرْث، وَالعَلَاقات بين الأَجْيَال. وَلَم يَقُل بيان الحُكُومَة أنها سَتَكْتَفِي فَقَط بِإعادة تفعيل مَحَاكِم قَانُون الْأُسْرَة، الخَاصّة بِاليَهُود في المَغرب، والتي تَحْكُمُ العَلَاقَات داخل الأسرة اليَهُودِيَة. والاحتمال الكبير هو أن السلطة السياسية في المغرب تَقْصِد إِنْشَاء تَنْظِيمَات مِن نَوع جَدِيد، خَاصَّة بِالطَّائِفَة اليَهُودِيَة، وَتَتَجَاوَزُ حُدُود مَحَاكِم قَضَايَا العَائِلَة، والزَوَاج، والطَلَاق، والإِرْث. حيث تَكَلَّمَ البَيَان الحُكُومِي عن «إنشاء مجموعة من الهيئات، مِنْ بَيْنِهَا تَنْظِيم ***المجلس الوطني لِلطَّائِفَة اليَهُودية المغربية***»،... «***وَلِجَان جِهَوِيَة***، تَقُوم بتدبير القضايا والشؤون اليومية لأفراد الطَائِفَة اليهودية». الخ. وَأَمَام هذا الغُمُوض الذي يَتْرُكُ البَابَ مَفْتُوحًا على كلّ الاحتمالات، فَإِنَّنَا مُجْبَرِين على نِقَاشِ الحَالَات الأَسْوَء، بِمَا فِيهَا تَنْظِيم «الطَائِفَة اليَهُودِيَة» بِمَعْنَاهَا السِيَّاسِي وَالشُمُولِي. «»

وَلَا نَفْهَمُ لماذا أَصَرَّت وزارة الداخلية المغربية على إِنْشَاء «***لجنة اليهود المغاربة المُقِيمين بالخارج***»، خَاصَّةً إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ 3 أَعْضَاء من بين 35 عضوًا المُكَوِّنين لِـ «***مجلس الجالية المغربية بالخارج***» (CCME)، كانوا مُنذ أبريل 2015، وَمَا زَالُوا، «يَهُودًا مِن أَصْل مَغْرِبِي» (وهم رَافِي مَارْسْيَانُو، مدير مركز الجالية اليهودية في باريس، وَدَانْيَالْ عَمَّار، المدير العام للمؤتمر اليهودي الكندي، وَبُولْ دَهَانْ، رئيس مركز الثقافة اليهودية المغربية بِبْرُوكْسِيلْ.

قَدْ يَظْهَرُ حَدَث تَنْظِيم «***الطَائِـفَة اليَهُودِيَة المَغْرِبِية***»، المُقَرَّر مِن طرف حُكَّام دولة المغرب، «عَادِيًّا»، أو «مُبَرَّرًا». لكن حِينَمَا نَبْـدَأُ في التَفْكِير في هذا الحَدَث، نَكْتَشِف أن نَتَائِجَه سَتَكُون خَطِيرَة على شعب المغـرب. حيثُ أن هـذا الحَـدَث يُثِيرُ في الواقـع مَشَـاكِلَ سِيَّاسِـيَة، وَقَانُونية، مُتَعَدِّدَة، وَمُعَـقَّدَة، وَمُتَنَاسِلَة، وَغَيْـر مُتَوَقَّعَـة. وَيَسْـتَحِيل على دولـة المغـرب أن تَقْـدِرَ على إِيجَـاد حُلُول قانونيـة، وَشَـرْعِيَة، وَمُرْضِـيَة، لكلّ هذه المشاكل. وَسَأَعْرِضُ في المقال الحالي بعضَ هـذه المشـاكل. ومنها القَضَايَا التَالِيَة :

1) إِنَّ إقـدام دولـة المغـرب على المُسَـاهَمَة في تـنظيم «الطَائِفَـة اليُهُوديَــة» داخــل المغــرب، يَقُودُنَــا، بالضَّــرُورَة، إلى نِــقَاشِ بعض ***إِشْكَالِيَّات «الطَائِـفِيَة»***، وَآلِيَّاتِهَا، وَأَخْطَارِهَا المُجْتَمَعِيَة، وَلَـوْ بشكل مُوجَز، حَتَّى وَلَوْ ظَهَرَ هذا النقاش، لِبَعْض القُرَّاء المُحْتَرَمِين، غَيْرَ مُبَرَّر، أو غَيْر ذي صِلَة بِالمَوْضُوع الرئيسي في هذا المقال.

2) ***كَيْـفَ نُعَـرِّفُ «الطَّائِـفَة»*** ؟ نتكلّم عن وُجُـود ***«الطَائِفِيَـة»*** في مُجتمع مُحَدَّد، إِذَا كَان هـذا المُجتمع يَعْمَـلُ بِنِظَـام «الطَوَائِـف»، أو بِـ «المُحَاصَصَة الطَائِفَيَّة» (مثلما هو الحال في لُبْنَان، والعِرَاق). وَنَـقْصِدُ ***بِمُصْطَلَح «الطَّائِـفَة»*** المَجْمُوعَـة البَشَـرِيَّة الـتي يَتَمَيَّزُ أَفْرَادُهَا بِصِفَات مُشْتَرَكَة (قَدْ تَكُون حَقِيقِيَّة، أو وَهْمِيَة)، وَتَكُونُ هذه الصِّفَات مَبْنِيَة على أَسَـاس الـدِّين، أو العِـرْق، أو الإِثْنِيَـة (éthnie)، أو القَبِيلَـة، أو اللُّـغَة، أو الجِهَة، أو لَوْن البَشْرَة، أو غَيْرِهَا. وَتَعْمَل «الطَّائِفَة» من أجـل اِنْتِزَاع، أو صِـيَّانَة، مَصَـالِحَ خَاصَّـة بِأَعْضَـاء «الطَّائِـفَة»، وَلَـوْ كـان المُسْتَـفِيدون الحَـقِيقِيُّون مِن هـذه المَصَـالِح يَنْحَصِـرُون في أَسْـيَاد، أو زُعَمَـاء، هـذه «الطَّائِفَة»، ولَا يَنْطَبِقُ بِالضَّرُورَة نَفْـعُهَا على مُجْمَـل قَوَاعِـد «الطَّائِـفَة» المَعْنِيَـة. وَمِن طَبِيعَـة ***«الطَّائِـفَة»*** أن تَنْـقَسِمُ إلى طَوَائِفَ صَـغِيرَة. وَقَـد تَكُون «الطَوَائِـفُ» المُتَنَاسِلَة مُتَنَافِسَـة، أو مُتَعَاوِنَـة، أو هُمَـا مَعًـا. وَفي

كَثِير مِن الحَالَات، يُؤَدِّي **مَنْطِق «الطَّائِفِيَة»** إلى أن **تَتَحَوَّلُ كُلّ «طَائِفَة» إلى دَوْلَة داخل الدَّوْلَة.**

3) لَا نَفْهَم مُبَرِّر الإِقْدَام المُبَاغِت لِدَوْلَة المغرب على تَقْنِين وَإِنْشَاء هذه التَنْظِيمَات والهَيْئَات الخَاصَّة بِـ **«الطَائِفَة اليَهُودية»**. خَاصَّةً وأنّ عدد اليهود الذين كَانُوا يعيشون في المغرب، في سنوات 2020، كان يَقِلُّ عن 3000 شخص. وَقَد يَكُونُ السِرُّ المُفَسِّر لهذه الإِجْرَاءَات، هو أن السُلْطَة السِيَاسِيَة في المغرب عَازِمَة على تَنْفِيذ **«التَطْبِيع»** المُوَقَّع (في دِيسَمْبَر 2020) بين دولة المغرب ودولة إسرائيل، بِطَرِيقَة اِسْتِثْنَائِيَة. **وَيُوجَدُ في إِسْرَائِيل (في سنة 2020) «إِسْرَائِيلِيُّون من أَصْل مَغْرِبِي»، يُقَدَّرُ عَدَدُهُم بِـ قُرَابَة 700 أَلْف شخص. وَتُصِرُّ السُلْطَة السياسية في المَغْرب على اِعْتِبَار هَؤُلَاء «الإِسْرَائِيلِيّين من أَصْل مَغْرِبِي» كَمُوَاطِنين مَغاربة، كَامِلِي الجِنْسِيَة المَغْرِبِيَة(!)**. الشيء الذي يُثِير الكَثِير من التَسَاؤُلَات، وَالتَحَفُّظَات، وَحَتَّى الاِعْتِرَاضَات، على الصِّفَة القَانُونِيَة، أو الشَّرْعِيَة، لهذه القَرَارَات، والإجراءات.

4) برنامج الدولة المغربية، الرَّامِي إلى تَنْظِيم **«الطَائِفَة اليَهُودية»**، يَعْتَبِرُ إذن أن **«الإسرائيليّين من أصل مغربي»** هم **«يَهُود مَغَارِبَة»**، أو **«مَغَارِبَة يَهُود»**، وأن المَغْرِب هو **«بَلَدُهم الأَصْلِي»**. وَيَعْتَبِرُ ضِمْنِيًّا هذا البرنامج (للدولة المغربية) أن هؤلاء «الإسرائيليّين مِن أصل مغربي» لا يَحْتَاجُون إلى الِقيَّام بِأَيَّةِ إِجْرَاءَات إِدَارِيَة، أو قَانُونِيَة، لِلْحُصُول على **«الجِنْسِيَة المغربية». لأن السُلطة السياسية في المغرب تَعْتَبِرُهُم «يَهُودًا مَغَارِبَة»، أو «مَغَارِبَة يَهُودًا»**. وهكذا يَكْتَمِلُ المَنْطِقُ، وَتَنْغَلِقُ الحَلَقَة. وَيُصْبِحُ كل شيء مُبَرَّرًا، وَمُكْتَمِلًا. حيثُ تُعْطِي دولة المغرب إلى هؤلاء «الإِسْرَائِيلِيّين مِن أصل مَغربي» (وربّما حتّى إلى الإسرائيليّين

الآخرين الذين لَيْسُوا مِن أصل مغربي) حَقَّ دُخُول المغرب بِحُرِّيَة تَامَّة، والقِيَّام فيه بِكُلّ مَا يُرِيدُون.

5) زَعَمَت دولة المغرب أنها هي التي سَتُنَظِّمُ، وَسَتُسَيّر، «***الطَائِفَة اليَهُودِية***» في المغرب. وَمِنْ المُسْتَبْعَد جِدًّا أن تَقْدِرَ فِعْلِيًّا دَوْلَة المغرب على ذلك. وَمَا دَامَ هؤلاء «الإسرائيليّين مِن أصل مغربي» مُوَاطِنِين مُخْلِصِين لِدَوْلَة إِسْرَائِيل، فَإن الفَاعِلَ الذي سَيَكُون قَادِرًا على تَنْظِيم وَتَدْبِير هذه «الطَائِفَة اليَهُودِيَة» في المَغْرِب، هي دولة إِسْرَائِيل، بِمُخَابَرَاتِهَا، وَتَنْظِيمَاتِهَا المُتَشَابِكَة، والخَفِيَّة. وَهَكَذَا سَتُصْبِحُ «الطَائِفَة اليَهُودِيَة» دَوْلَةً دَاخِل الدَوْلَة المَغْرِبِيَة. بَلْ ***الأَكْثَرُ احْتِمَالًا هو أن «الطَائِفَة اليَهُودِيَة» المَغْرِبِيَة، هي التي سَتُصْبِحُ مُسَيِّرَة لِلدَّوْلَة المغربية.*** وَسَتَغْدُو إِسْرَائِيل طَرَفًا مُؤَثِّرًا، أو حَاسِمًا، في كُلِّ مَا يَجْرِي داخل دَولة المَغرب.

6) ***يَتَحَوَّلُ المغرب، نَتِيجَةً لِهذا «التَطْبِيع»، إلى مَنْطَقَة مُلْحَقَة بِإِسْرَائِيل.*** وَيَغْدُو المغرب هو «الضِفَّة الغَرْبِيَة»، أو «الضِفَّة المَغْرِبِيَة» لِإِسْرَائِيل. وَبِفَضْل مَا يَتَمَتَّعُ به هؤلاء «الإِسْرَائِيلِيّين» في المغرب مِن اِمْتِيَّازَات، وَقُدُرَات، تَفُوق بِكَثِير حُقُوق المُواطنين المغاربة العَادِيّين، يُصْبِحُ مِن حَقِّ هؤلاء «الإِسْرَائِيلِيّين» أن يَغْزُوا المغرب، وَأَنْ يَحْتَلُّوه، وَأَنْ يُنَاوِرُوا دَاخِلَه، وَأن يَسْتَغِلُّوه، وَحَتَّى أن يُحَطِّمُوه، أو أن يُخَرِّبُوه مِثْلَمَا يَحْلُوا لهم. ***وَسَتَقُوم الدولة المغربية بِحِمَايَة هؤلاء «الإسرائيليّين»، مُقَابِلَ «الحِمَايَة» المَزْعُومَة التي تُوَفِّرُهَا إسرائيل (وَأَمْرِيكَا) لِلنِّظَام السياسي القائم في المغرب.*** هذا هو مُستقبل المغرب الأكثر احتمالًا.

7) مِمَّا لَم يُوَضِّحْهُ البَيَان الرَّسْمِي لِحُكُومَة المغرب، المُشَار إليه سَابِقًا، هو أن إِقْدَام دولة المغرب، منذ شهر يُولْيُوز (تَمُّوز) 2022، على «***تَنْظِيم الطَائِفَة اليَهُودِيَة***» داخل المغرب، لم يَكُن إِجْرَاءً اِعْتِبَاطِيًّا، أو

رَتيبًا، وَإِنَّمَا ***يَدْخُلُ في إِطَار تَنْفِيذ اِتِّفَاقِيَة «تَطْبِيع» العَلَاقَات بين دولة المغرب ودولة إسرائيل***، المُوَقَّعَة في شهر ديسمبر 2020. بَيْنَمَا ***يَجْهَلُ شَعْبُ المغرب تَفَاصِيل اِتِّفَاقِية «التَطْبِيع»*** مع إسرائيل، وَلَا يَعْرِفُ تَفَاصِيلَهَا، وَلَا تَطَوُّرَاتِهَا المُرْتَجَلَة، وَلَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ أُسْتُشِيرَ حَوْلَهَا، وَلَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ وَافَقَ عليها.

8) واليوم في سنة 2022، وبعد تَرْسِيم «التَطْبِيع» بين دولة المغرب ودولة إسرائيل (مُنذ سنة 2020)، نُلَاحِظُ أن دولة المغرب تُهَيِّءُ لِـ «***تَنْظِيم الطَائِفَة اليَهُودِيَة***» داخل المغرب. وهذا الإِجْرَاء يَعْنِي أن السُلْطَة السياسية في المغرب، في إطار إِلْتِزَامَاتِهَا مع نَظِيرَتِهَا في إسرائيل، ***تَسْتَعِدُّ لِاسْتِقْبَال مِئَات الآلَاف من «الإسرائيليّين من أصل مَغْرِبِي»، وَتُرِيدُ تَوْطِينَهُم دَاخِل المغرب.*** وَتَعْنِي هذه الاستعدادات أن دولة المغرب تُريد أن تُوَفِّرَ لِهؤلاء «الإسرائيليّين مِن أصل مَغْرِبِي» كل «المُسَاعَدَات»، و«التَسْهِيلَات»، و«الاِمْتِيَّازَات» المُمْكِنَة. لكن شعب المغرب، لَا يَعْرِف، وَلَمْ يُسْتَشَار، وَلَمْ يُوَافِق على، مَشْرُوع إِدْخَال وَتَوْطِين قُرَابَة 700 أَلْف إِسْرَائِيلِي إلى المغرب. أَفَلَا تُدْرِكُ السُلطة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَالِهَا «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فإنها تَرْتَكِبُ شَطَطًا في اِسْتِعْمَال السُلْطَة (abus de pouvoir) ؟

9) ***إذا سَمَحَت دولة المغرب لِـ «طَائِفَة اليَهُود المَغَارِبَة» (أو لِأَيَّة مَجْمُوعَة أخرى) بأن تَتَنَظَّمَ كَـ «طَائِفَة»، فإن دينَامِيَة تَطَوُّر المُجتمع سَتُؤَدِّي حَتْمًا إلى تَكَوُّن «طَوَائِفَ» أخرى***، مُتَنَافِسَة، وَمُتَصَارِعَة. والتَنَاقَضَات المَوْضُوعِيَة، والكَثِيرَة، المَوْجُودَة في المغرب، تَجْعَلُ شَعْبَه قَابِلًا لِلْإِنْفِجَار، ***وَلِلتَّشَتُّت. والمَجْمُوعات المُؤَهَّلَة لِلتَّشَكُّل كَـ «طَوَائِف» داخل المغرب، كثيرة، وَغَيْر مُتَوَقَّعَة.*** وَنَذْكُر مِن بَيْنِهَا المَجْمُوعَات المُحْتَمَلَة التَالِيَة : الأَمَازِيغ (وينقسمون هم

أنـفسهم إلى عـدّة مَجموعـات مُتَمَيّـزَة جُغْرَافِيًّا، أو جِهَوِيًّا، أو لُغَوِيًّا)، والعُرُوبِيُّون، والشُّـرَفَاء العَلَوِيُّون، والسُـنَّة، والشِـيعَة، وَالرِيـفِيُّون سُـكَّان منطقـة "الرّيـفْ" في شـمال المغـرب، والصَّـحْرَاوِيُّون، والحَسَّـانِيُّون، والسُّوسِـيُّون، والـفَاسِيُّون، والأَنْدَلُسِـيُّون، والْإِفْرِيـقِيُّون، والمُسْـلِمُون الأُصُـولِيُّون، والبَهَـائِيُّون، والمَسِـيحِيُّون، الخ. والْـلَّائِحَة طَوِيلَـة. وكـلّ الاحتمالات وَارِدَة. وَإذا كان مِن حَقّ يَهُود المغرب أن يَتَنَظَّمُوا كَطَائِـفَة، لِمَـاذا لَا يَحِـقُّ لِلْمَجْمُوعَـات المَـذْكُورَة سَابِـقًا أن تَتَنَظَّمَ، هي أَيْضًـا، كَطَوَائِف ؟

(وَمَثَلًا في تجربـة لُبْنَـان، بَـدَأَت «الطَائِـفِيَة» بِقُرَابَـة 3 «طَوَائِـف» دِينِيَة، هي الشِيعَة، والسُنَّة، والمَوَارِنَة. ثُمَّ انْتَـقَلَت الطَائِفِيَـة بِسُـرْعَة إلى 18 «طَائِفَة» مَعْمُولٌ بها قَانُونِيًّا وَرَسْـمِيًّا في دولـة لُبْنَان. وفي العِـرَاق، وبعـد اِحْتِلَالِـه وَتَخْرِيبِـه كُلِيًّا من طـرف الولايـات المُتَّحِـدَة الأمريكيـة في سـنة 2003، بَنَت أَمْرِكَـا الدولـةَ العِرَاقِيَـةَ «الدِّيمُوقَرَاطِيَـة» البَدِيلَـةَ على أَسَاس ثلاثة طَوَائِف، هي الكُرْد، والشِّيعَة، والسُنَّة. وذلـك بِهَـدَف ضـمان بَقـاء العِـرَاق في الاِنْحِطَـاط. وَمِن بعـد، اِنْقَسَـمَت كـلّ وَاحـدة مِن هـذه الطَوَائِـف إلى عدّة مُكَوّنَات طَائِـفِيَة، أو سِيَّاسِـيَة، مُتَنَافِسَـة، وَمُتَحَارِبَـة). أَفَلَا تُدْرِكُ السُـلطة السياسـية في المغـرب أنـه، بِإِدْخَالِهَـا «التـنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فإنها سَتُـفَجّرُ بِسُـرْعَة هـذا الـوَطَن الصُغَيّـر إلى عِدَّة «مَجْمُوعَات»، أو «كِيَّانَات»، أَو «طَوَائِـف»، مُتَنَاقِضَـة، وَمُتَصَـارِعَة، وَمُتَنَاحِرَة ؟

10) مِنْ مِنْظَـار عِلْم المُجْتَمَـع، ***يَكْـفِي أن تَتَـكَوَّنَ تَارِيخِيًّا «طَائِفَة» وَاحدة داخل أَيّ مُجْتَمَع مُحَدَّد (مثل «الطَائِـفَة اليَهُودِيَة» في المغرب)، لِكَيْ تُـؤَدّيَ دِينَامِيكِيَـة المُجتمع إلى تَكَوُّن «طَوَائِـف» أُخْرَى إِضَافِيَة، وَغَيْر مُتَوَقَّعَة***، تَكُونُ مُتَعَدّدَة، أو مُتَشَـابِهَة، أو مُتَمَيّـزَة. وَتُصْبِحُ هذه «الطَوَائِفُ» الجَدِيدَة، بِالضَّرُورَة، مُنَافِسَة لِلطَّائِـفَة الْأُولَى، أو

مُعَادِيَة لها، أو خَاضِعَة لِبَعْضِهَا. (أُنْظُر تَجْرِبَتَي لُبْنَان والعِرَاق). وَسَيَكُون المُسْتَفِيدُون الأَسَاسِيُّون مِن «الطَائِفِيَة» في المغرب، هُمُ الْإِمْبْرِيَالِيُّون، والأشخاص الإِسْرَائِيلِيُّون، وَإِسْرَائِيل. أَفَلَا تُدْرِكُ السُلطة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَالِهَا «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فإنها تَسُوقُ المُجْتَمَع المغربي نَحْوَ نِظَام سيّاسي جَامِد، وَعَاجِز، وَمُفْلِس، وَمُنْحَطّ (أَكْثَرَ مِمَّا هو الوضعُ حَالِيًّا في لُبْنَان، والعِرَاق) ؟

11) قَدْ تَقُول السُّلْطَة السِيَاسية في المغرب : «نحن نَعْرِفُ أَخْطَار الطَّائِفِيَة، وَلَا نَنْوِي إِعَادَة تَنْظِيم الدَوْلَة المَغْرِبِيَة على أَسَاس الطَائِفِيَة، وَإِنما نُرِيد فقط «« الطَّائِفَة اليَهُودِيَة، نَتِيجَةْ لِلتَّطْبِيع بين المغرب وَإِسْرَائِيل». وَنُجِيبُهَا، بِأَنَّنَا نتكلّم عن ظَوَاهِر مُجْتَمَعِيَة مُحَتَّمَة، وَلَا نَعْبَأُ كَثِيرًا بِنَوَايَا الأشخاص. حَيْثُ أن ***العَمَل بِمَنْهَج «الطائفية»، يُؤَدّي بِالضَّرُورَة، وَلَوْ بِطَرِيقة بَطِيئَة، أو غَيْر مُبَاشِرَة، أَوْ غَيْر وَاضِحَة، أو غَيْر مَرْئِيَّة، وَلَكِن حَتْمِيَة، إلى عَرْقَلَة التَمَاسُك المُجْتَمَعِي، ثم إلى تَخْرِيب الاندماج الوطني***، ثمّ إلى اِسْتِحَالَة إِنْجَاز التنمية المُجْتَمَعِيَة (بِأَبْعَادِهَا الاقتصادية، والسياسية، والعِلْمِيَة، والثَقَافِيَة، والتِكْنُولُوجِيَة، الخ). لذلك نَجِدُ في مُجْمَل بُلْدَان العَالَم أن ***مَآلَ الطَائِفِيَة، على المَدَيَيْن المُتَوَسّط وَالْبَعِيد، هو دائمًا اِنْحِطَاط المُجتمع المَعْنِي، وَعَجْزُهُ، ثُمَّ خَرَابُه***. أَفَلَا تُدْرِكُ السُلْطَة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَال «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فإنها تَقُودُ المغربَ نَحْوَ مَزِيد من التَشَتُّت، وَالْاِنْحِطَاط، والاِنْهِيَار ؟

12) مَهْمَا قِيل في مَجَال ***تَبْرِير إِقَامَة «الطَائِفِيَة»***، فَإِنّ أُسُس إِنْشَاء «الطَائِفِيَة» تَبْقَى مُنَاقِضَة لِلْمُوَاطَنَة المُتَسَاوِيَة، وَلِلْعَدَالَة المُجْتَمَعِيَة، وَلِلْاِسْتِقْلَال الوَطَنِي. وَغَالِبًا مَا تَكُونُ هذه المُبَرّرَات وَهْمِيَة. وَتُسْتَعْمَل «الطَّائِفِيَة» كَغِطَاء أَيْدِيُولُوجِي لِإِخْفَاء، أو لِتَشْرِيع، مَا يُمَارِسُه

زُعَمَاء «الطَوَائِف»، مِنْ سَيْطَرَة، وَنَهْب، واستغلال، وَرِيع، وَسَطْو، وَاحْتِكَار.

13) ***الفَاعِلُون المُحَرِّكُون الأَسَاسِيُّون لِـ «الطَّائِفَة»، وَلِـ «الطَّائِفِيَة»، هم دَائِمًا الأَعْيَان المَحَلِّيُون، والرَأْسَمَالِيُّون المُسْتَغِلُّون الكِبَار،*** المُسْتَفِيدُون مِن تَدَابِير التَنْظِيمَات الطَائِفِيَة، وَمِن الرّيع الطَائِفِي، وَمِن المُحَاصَصَة في اِقْتِسَام السُلُطَات السِيَاسِيَة، وَالغَنَائِم، والثَرَوَات، فيما بين النُخَب الْاِنْتِهَازِيَة، السَّائِدَة على مُخْتَلَف الطَوَائِف المُتَنَافِسَة، أو المُتَنَاقِضَة. أَفَلَا تُدْرِكُ السُلطة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَالِهَا «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فإنها تَضُرُّ بِمَصَالح الشعب، وَتَخْدُمُ فقط مصالح نُخْبَة قَلِيلَة مِن المُسْتَغِلّين الكِبَار، الذين قد يَكُونُوا مَغَارِبَة مُسْلِمُون، أو «إِسْرَائِيلِيُّون مِن أصل يَهُودي مغربي» ؟

14) كُلُّ تَجَارِب الدُوَل «الطَائِفِيَة» (مثل لُبْنَان، والعِرَاق) تُؤَكِّد أن ***جماهير الشعب لا تَسْتَفِيد شَيْئًا من «الطَائِفِيَة»***، وَإِنَّمَا فقط الزُعَمَاء، والأَعْيَان، والانتهازيّون، والغَشَّاشُون، والفَاسِدُون، والمُسْتَغِلُّون الرأسماليّون الكبار، والمُحْتَكِرُون، وَالمُجْرِمُون مِن مُخْتَلَف الأَنْوَاع، والجَمَاعَات المَافْيَوِيَة (mafiosi)، سَوَاءً كَانُوا مَغَارِبَة مُسْلِمِين أَمْ «إِسْرَائِيلِيّين مِن أَصْل مَغْرِبِي»، هم وَحْدَهُم الذين يستفيدون من نظام «الطَائفية»، وَسَيُكَافِحُون مِن أجل إِدَامَتِهَا.

15) تَمِيل دَائِمًا كُلّ مَجْمُوعَة بَشَرِيَة مُنَظَّمَة كَـ «طَائِفَةٌ» داخل المُجْتَمَع، إلى الابتعاد عن، أو إلى ***التَنَاقُض مع، وحدة الدولة، وَوَحْدة الشعب، وَوَحدة الوطن.*** وَلَا يُمكن تَقْوِيَة وَحْدَة الدَوْلَة، أو الشَّعْب، أو الوَطَن، بِدُون مَنْعِ كلّ مَظَاهِر «التَنْظِيمَات الطَّائِفِيَة». أَفَلَا تُدْرِكُ السُلطة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَالِهَا «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فإنها تُعَمِّقُ اِنْحِلَال الدولة، وَتُفَاقِمُ تَفَكُّك المُجْتَمَع ؟

16) ***يَحْتَاجُ وُجُود الطَوَائِف، وَكذلك اسْتِمْرَارُهَا، إلى تَغْذِيَة «المُعْتَقَدَات الطَائِفِية»، وَنَشْرِهَا، وَتَقْوِيَتِهَا، وَلَوْ كَانَت هذه المُعْتَقَدَات مُجَرَّد خُرَافَات مُضَلِّلَة.*** وَيَحْتَاجُ كَذَلِك وُجُود «الطَوَائِف» إلى تَأْجِيج الأَحْقَاد، أو الضَغَائِن، أو الكَرَاهِيَة، فِيمَا بين هذه «الطَوَائِف»، وَلَوْ كانت مُصْطَنَعَة. أَفَلَا تُدْرِكُ السُلطة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَالِهَا «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فإنها تَزْرَع المُعْتَقَدَات المُخَادِعَة، والكَرَاهِيَّات الفِئَوِيَة، وَالمُنَافَسَات المُخَرِّبَة، والأَحْقَاد العُنْصُرِيَة، والصِدَامَات الهَدَّامَة ؟

17) كُلُّ تَجَارِب الدُوَل «الطَائِفِيَة» (مثل لُبْنَان، والعِرَاق)، تُؤَكِّد أن ***تَنْظِيم الدولة على أُسُسٍ «طَائِفِيَة»، يُؤَدِّي حَتْمًا إلى اِنْحِلَال المُجْتَمَع، وَإلى اِنْهِيَار الدولة،*** وَضُعْفِهَا، وَفَسَادِهَا، وَاسْتِبْدَادِهَا، وَإِفْلَاسِهَا. ثُمَّ تُؤَدِّي «الطَائِفِيَة» إلى خَرَابِ المُجتمع. وذلك هو مَا يُلَاحِظُه الجَمِيعُ اليَوْمَ في البُلْدَان المَبْنِيَة على أَسَاس «الطائفية»، مثل لُبْنَان، والعِرَاق. لِأن *«الطَائِفِيَة» تَتَنَاقُضُ مع «العَقْلَانِيَة»، ومع «فَصْل الدِّين عن الدولة»، وَمَعَ «الدِّيمُوقراطية»، وَمَعَ «العَدَالَة المُجتمعية»، ومع «دولة الحقّ والقانون»، وحتّى مع «المُوَاطَنَة المُتَسَاوِيَة». وَيَسْتَحِيل أن تُوجَد «دولة الحقّ والقَانُون»، أو «الحَكَامَة الجَيِّدَة»، أو «الدِّيمُوقْرَاطِية»* (سواءً كانت *«تَمْثِيلِيَة»، أَمْ «تَشَارُكِيَة»*)، *في إطار مُجْتَمَع مُنَظَّم على أَسَاس «الطَوَائِف».* أَفَلَا تُدْرِكُ السُلطة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَالِهَا «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فَإِنَّهَا تُعَرِّضُ مَصِير شعب المغرب لِلْهَلَاك ؟

18) إذا أَرَادَت دولة المغرب أن تَتَعَامَل مع «إسرائيليّين مِن أَصْل مَغْرِبِي» كَ «***طَائِفَة يَهُودِية مَغْرِبِيَة***» مُتَمَيِّزَة، لِمَاذَا لَا تُطَالِبُ دولة المَغْرب مِن دولة إسرائيل أن تَلْتَزِمَ، هِيَ أَيْضًا، ***بِمَبْدَأ «المُعَامَلَة بِالمِثْل»*** (réciprocité)، لِكَي تُصْبِح دولة إسرائيل مُجْبَرَة قَانُونِيًّا على

التَعَامُل مع «الإِسْرَائِيلِيّين مِن أَصْل مَغْرِبِي» كَـ «طَائِفَة يَهُودِيَة مَغْرِبِيَـة» مُتَمَيِّزَة دَاخِل إِسْرَائِيل ؟ وَإِذَا كَانَ هذا الإِجْرَاء مَرْفُوضًـا مِن طـرف دَوْلَـة إسرائيل، فَلِمَاذا تَـلْتَزِمُ بـه دولـة المغـرب مِن جَـانِب واحـد، وَبِـدُون أيّ مُقَابِـل ؟ أَفَلَا تُـدْرِكُ السُـلْطَة السياسـية في المغـرب أنـه، بِإِدْخَـال «التـنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغـرب، فإنهـا ***بَالَغَت جِـدًّا في العِنَايَة بِـ «الإِسْرَائِيلِيّين مِن أَصْل مَغْرِبِي»***، مُقَابِـل تَسْـلِيط الْإِهْمَـال، وَالتَجَاهُـل، وَالتَهْمِيش، والْاِسْـتِغْلَال، وَالقَمْع، وَالاِضْـطِهَاد، على المُـوَاطِنِين المَغَارِبَـة الفُـقَـرَاء، والبُسَطَاء، وَالمَحْرُومِين، والمُسْتَـغَلّين ؟

19) إذا أصبحت دولة المغرب تَتَعَامَل مع «إسرائيليّين مِن أَصْـل مَغْـرِبِي»، كَـمَغَارِبَة عَـادِيّين، وَكَـامِلِي «الجِنْسِـيَة» المغربيـة، وَكَـامِلِي «المُوَاطَنَة» المغربية، أو تَتَـعَامَلُ مَعَهُم كَـ بَـاقِي «المَـغَارِبَة المُقِيمِين في الخَارج»، فَهَل سَيَحْصُل هؤلاء «الإسرائيليّين مِن أصل مغـربي»، (سـواءً كـانوا مُقِيمِين داخـل المغـرب أم خَارِجَـه)، على ***حَـقّ الْاِنْتِخَـاب، وَعَلَى حَـقّ التَرَشُّـح، في الانـتخابات البَرْلَمَانِيَـة، وَانْتِخَابَـات الجَمَاعَـات التُرَابِيَة*** ؟ وَهَل سَتَحْصُلُ هذه «الطَائِفَة اليَهُودِيَـة» على ***حِصَّـة*** (***quota***) «طَائِـفِيَّة» مُحَـدَّدَة مِن المُقَاعِـد في بَرْلَمَـان المغـرب، وفي الجماعـات المَحَلّيَة المغربية ؟ وَإِذَا كَانَت «الطَائِفَة اليَهُودِيَة» تَحْظَى مُنْذُ زَمَن بَعِيد بِـ ***حِصَّـة*** (***quota***) «طَائِفِيَّة» في مَنَاصِب «مُسْتَشَارِي المَلِك»، فَكَيْـفَ لَا نَـتَوَقَّعُ حُصُول هذه «الطَائِفَة اليَهُودِيَة» على ***حِصَص*** (***quotas***) طَائِفِيَة مُمَاثِلَة في مَقَاعِد البَرْلَمَان، والجَمَاعَات التُرَابِيَة ؟ وَهَلْ سَـيُؤَدِّي مَنْطِق «تَنْظِيم الطَائِـفِيَة اليَهُودِيَـة» إلى تَـعْمِيم مَنْطِق ***«الحِصَـص الطَائِـفِيَة اليَهُودِيَة» على مُجْمَل المُؤَسَّسَات التَمْثِيلِيَة في المغـرب*** ؟ وَهَـل مَـا يَحْتَاجُه شعب المغـرب هُـو إِقَامَـة «***المُحَاصَصَـة الطَائِـفِيَة***»، أم تَشْـيِيد «الدِّيمُوقْرَاطِيَــة»، و«العَدَالَــة المُجْتَمَعِيَــة»، وَمُكَافَحَــة الرَأْسَــمَالِيَة المُفْتَرِسَة ؟

20) وَعَلى عَكْسِ رَأْيِ السُّلْطَة السِّيَاسِيَة في المغرب، والتي تُريد تَنْظِيم أَمْن وَطُمَأْنِينَة «الطَّائِفَة اليَهُودِيَة» في المغرب، نُلَاحِظُ أن ***البُلدان التي يعيش فيها اليَهُود مُرْتَاحِين، وَمُطْمَئِنّين، هي بِالضَّبْط البُلدان التي يَعِيش فيها هؤلاء اليَهُود كَمُوَاطِنين أَفْرَاد عَادِيّين، وَمُنْدَمِجين، وَمُتَسَاوِين مع بَاقِي مُوَاطِنِي مُجْتَمَعِهِم، وَلَا يَعِيشُون فيها كَ «طَائِفَة مُتَمَيِّزَة»***. وَنَذْكُر من بين هذه البلدان مثلًا الولايات المتّحدة الأمريكية، وَكَنَدَا، وَأَلْمَانِيَا، وَالمَمْلَكَة المُتَّحِدَة (إِنْجَلْتِرَا)، والنَمْسَا، وَأُوسْتِرَالْيَا، الخ. وَلَا يُوجد في هذه الدول تَنْظِيم خَاصّ بِـ «الطَّائِفَة اليَهُودِيَة». [بَيْنَمَا في فَرَنْسَا، نَجَحَت الحَرَكَة الصَّهْيُونِيَة المُتَخَفِّيَة في تَنْظِيم اليَهُود الفَرَنْسِيِّين كَ «طَائِفَة يَهُودِيَة سِرِّيَة»، وَلَوْ أن قَوَانِين جُمْهُورِيَة فَرَنْسَا تَمْنَع مَظَاهِر الطَائِفِيَة. بَل فَرَضَت الحَرَكَة الصَّهْيُونِيَة في فَرَنْسَا تَمْرِير قَانُون يُجَرِّمُ نَقْد الصَّهْيُونِيَة]. أمّا البُلدان التي يعيش فيها اليَهُود في حَالَة مُتَأَزِّمَة، أو تَصَادُمِيَة، أو عَدَائِيَة، فَهِيَ بِالضَّبْط البُلْدَان التي يعيش فيها اليَهُود ***كَ «طَائِفَة» مُتَمَيِّزَة، أو اِسْتِثْنَائِيَة***، سواءً كانت هذه الطَائِفَة اليَهُودية سَائِدَة (مثلما هو الحال في إسرائيل)، أم كَطَائِفَة مَسُودَة (مثلما كان الحال من قَبْل في بعض البلدان الأَوْرُوبِّيَة، أو النَاطِقَة بِالعَرَبِيَة). وَمَعْنَى ذلك أنه، ***كُلَّمَا تَشَبَّثَ اليَهُود (أو غيرهم) بِأَن يَعِيشُوا كَطَائِفَة مُتَمَيِّزَة، يُصْبِحُون بِالضَّرُورَة يَحْيَوْنَ في أَزْمَة، وَتَغْدُو مُعَانَاتُهُم مُحْرِجَة، أو مُضْنِيَة، أو مُؤْلِمَة.***

21) مِنْ بَيْن الاِنْحِرَافَات الأَسَاسِيَة في الصَّهْيُونِيَة، هو أنها تُرِيدُ أن يَعِيشَ اليَهُود كَـ «طَائِفَة دِينِيَة مُتَمَيِّزَة»، وَذَات «حُقُوق اِسْتِثْنَائِيَة». (حيث تُطَالِبُ مثلًا الصَهْيُونِيَة بِحَقّ إِلَاهِي خَاص بِاليَهُود، يَسْمَحُ لَهُم بِغَزْو وَاسْتِيطَان فلسطين وَمَا جَاوَرَهَا). وَمِنْ بَيْن أَسْبَاب شَقَاء اليَهُود، نَجِدُ رَغْبَةَ جُزْء هَامّ منهم في العَيْش كَـ «سُلَالَة دِينِيَة نَقِيَة»، أو كَ «طَائِفَة دِينِيَة مُتَمَيِّزَة»، أو ذَات «حُقُوق اِسْتِثْنَائِية». ***وَمِنْ بَيْن الحُلُول***

لِخَلَاصِ اليَهُود مِن اِضْطِهَادِهِم كَـ «طَائِفَة»، أو مِن كُرْهِهِم، أو مِن إِقْصَائِهِم كَـ «سُلَالَة»، هو أن يَعِيشَ كُلُّ مُجْتَمَع (خاصّة إذا كان يَحْتَوِي على يَهُود)، **على أَسَاسِ فَصْلِ الدِّين عَنِ الدَوْلَة**، [وَكَذَلِك على أساس فَصْل الدِّين عن السياسة، وَفَصْل الدِّين عن الاقتصاد، وفصل الدّين عن الفُنُون، مَعَ ضَمَان حُرِّيَة العَقِيدَة لِلْجَمِيع، وَحُرِّيَة العِبَادَة، وَحُرِّيَة عَدَم العِبَادَة، وَحُرِّيَة الاختيّار بين الزَوَاج الديني والزَوَاج المَدَنِي]. ولا يكون مَنْع تنظيم اليَهُود على أَسَاس طَائِفِي عَادِلًا، إِلَّا إذا رَافَقَه مَنْعُ كُلِّ أَنْوَاع التَنْظِيمَات الطَائِفِيَة، سَوَاءً كانت لِلْيَهُود، أَمْ لِلْمُسْلِمِين، أم لِلْمَسِيحِيّين، أم لِغَيْرِهم. كَمَا يَلْزَمُ مَنْع قِيَّام الدَوْلَة على أساس دِينِي (سواء كان هذا الدّين هو اليَهُودِيَة، أم الإسلام، أم المَسِيحِيَة، أم غَيْرِهَا). وَتَحَرُّر المُوَاطِنِين اليَهُود، أو تَحَرُّر أَيِّ جُزْء آخر من المُوَاطِنِين، مَشْرُوطٌ بِتَحَرُّر كُلّ المُوَاطِنِين، وَبِدُون أَيِّ اِسْتِثْنَاء. وَيَسْتَوْجِبُ الحَلُّ أَيْضًا أن يكون المواطنون سَوَاسِيَة في كلّ حُقُوق المُوَاطَنَة، وَبِدُون أَيِّ تَمْيِيز بَيْن مُعْتَنِقِي هذا المَذْهَب الدِّينِي أو ذاك، وَبِدُون أيّ فَرق بين المُتَدَيِّنِين وغير المُتدّينين. كَمَا يَسْتَوجِبُ الحَلُّ أن تُعْطِيَ الدَوْلَة السِّيَادَةَ أو الأَسْبَقِيَةَ لِلْعَقْل، وليس لِلدِّين. لِأَنَّ تَجَارِب كُلّ مُجتمعات العالم تُثْبِتُ أنّ تَغْلِيب الدِّين على العَقْل، أو على الدَوْلَة، أو على السِيَاسَة، يُؤَدِّي حَتْمًا إلى الاِسْتِبْدَاد، وإلى المُنَافَسَات، والصِرَاعَات، والصِدَامَات، والمَظَالِم، والاِنْحِطَاط، والحُرُوب، والخَرَاب.

22) في كُلّ مُجْتَمَع تَكُونُ فيه الدَوْلَة خَاضِعَة لِلدِّين، أو مُتَدَاخِلَة مَعَهُ (بِمَا فيها دَوْلَة إِمَارَة المُؤْمِنِين)، أو تَكُونُ فيه السِيَاسَة رَاضِخَة لِلدِّين، يُصْبِحُ بِالضَّرُورَة مُجْمَل المُوَاطِنِين أَشْقِيَّاء، سَوَاءً كَانُوا يَهُودًا، أو مُسْلِمِين، أو مَسِيحِيّين، أو غَيْر مُتَدَيِّنِين؛ وَذَلِك بِسَبَب المُنَافَسَات، والصِّرَاعَات، والصِّدَامَات الحَادَّة، التي تَحْدُثُ بين أَفْرَاد وَجَمَاعَات تَتَدَيَّنُ بِشَكْل مُخَالِف. وَغَالِبًا مَا **تَنْتُج هذه الصِرَاعَات عَنِ التَنَاقُض**

بَيْن المَنْطِق المُنَظِّم لِلدَّوْلَة، أو لِلْمُجْتَمَع، وَالمَنْطِق المُنَظِّم لِلدِّين.
أَفَلَا تُدْرِكُ السُلطة السياسية في المغرب أنه، بِإِدْخَالِهَا «التنظيمات الطَائِفِيَة» إلى المغرب، فَإِنَّهَا تُخْضِعُ آلِيَّات دَوْلَة المغرب لِمَنْطِق الدِّين اليَهُودي، أو لِهَيْمَنَتِه ؟

23) ***كلّ اِنْتِمَاء*** لِعَائِلَة، أو لِقَبِيلَة، أو لِمَجْمُوعة، أو لِشَعْب، أو لِوَطَن، وَرَغْمَ مَا يَرْتَبِطُ به من عَصَبِيَّة، وَمِن مُعْتَقَدَات، ***فهو مَنْتُوج تَارِيخي، ويبقى طَيّعًا*** (***malléable***) ***نِسْبِيًّا***، وفي تَفَاعُل مع التَكْوِين (والتَرْبِيَة)، والثَقَافَة، وتطوّر المُجتمع، والصراع الطَبَقِي، (وكذلك في تَفَاعُل مع تطوّر الأَوْضَاع في العَالَم، على المُسْتَوَيَات السياسية، والاقتصادية، والثقافية). وَكُلّ إِنْتِمَاء لِعَائِلَة، أو لِقَبِيلَة، أو لِجَمَاعَة دِينِيَة، أو لِجَماعة جِهَوِيَة، أو عِرْقِيَة، أو إِثْنِيَة، أو لُغَوِيَة، أو مَا شَابَهَ ذلك، يَتَطَوَّر بِالضَّرُورَة لِيُصْبِحَ في تَنَاقُض مُتَزَايِد مع الْاِنْتِمَاء لِمُجْتَمَع بَشَرِي أو إِنْسَانِي مُوَحَّد. فَيَنْضَافُ «اِنْقِسَام المُجْتَمَع إلى طَوَائِف مُتَصَارِعَة» إلى «اِنْقِسَام المُجْتَمَع كَطَبَقَات مُتَنَاقِضَة». فَيَتَحَوَّلُ المُجْتَمَع إلى جَحِيم. وَلَا يُمكن الخَلَاص من هذا الجَحِيم المُجْتَمَعِي سِوَى عَبْرَ ثَوْرَة مُجْتَمَعِيَة شَامِلَة وَشُمُولِيَة. لِذلك يجب على المُوَاطِنِين أن يَبْذُلُوا جُهُودًا مُتَوَاصِلَة لِكَيْ يُبْقُوا كُلّ اِنْتِمَاءَاتِهم الدِّينِيَة، والمحلية، والجهوية، وَالْإِثْنِيَة، وَاللُّغَوِيَة، وغيرها، خَاضِعَة، وَتَابِعَة، لِاِنْتِمَاء وَاحِد مُوَحَّد لِلْوَطَن المُشْتَرَك، وَلِلشَّعْب الشَّامِل، وَلِلدَّوْلَة الدِّيمُوقراطية والعَادِلَة.

24) وَرَغْمَ أن جزءا هَامًّا من اليهود المَيْسُورين كانوا (أو مَا زَالُوا) يَتَمَتَّعُون بِبَعض الامتيازات الخاصة المَمْنُوحَة من طرف الأَمِير، أو السُّلْطَان، أو المَلِك؛ وَنَظَرًا لِكَوْن جزء هَامّ من اليهود المَغَارِبَة المَيْسُورين كانوا، إِبَّان استعمار المغرب من طرف فرنسا (بين سنتي 1912 و 1956)، مُنْحَازِين إلى المُستعمرين الفرنسيّين؛ وَنَظَرًا لِكَوْن

عَـدَدٍ من اليهـود المغاربـة المَيْسُـورين كـانوا آنَـذَاك يحملـون صِـفَة، أو اِمْتِيَّاز، «المَحْمِيّين» (protégés) من طَرَف الدول الأوروبّية القوية؛ يُوجَـدُ اليومَ ***تَخَوُّف جِدّي لَدَى كثير من المغاربة من خَطَر تَحَوُّل عَـدَدٍ من الإسـرائيليّين الجُـدُد «من أَصْـل مَغْـرِبي» (العَائِدين مُـؤَخَّرًا من إسرائيل إلى المغرب نَتيجَةْ لِـ «اِتّفَاقِيَة التَطْبيع») إلى عُمَلَاء سِرِّيين، مُجَنَّدين لِخِدْمَـة إسـرائيل***، وَلِخِدْمَـة الـدُّول الغربيـة الإمبرياليـة. فَهَـل تَـرْقَى السُّـلْطَة السياسـية في المغـرب إلى مُسْـتَوَى الاِهْتِمَـام بِتَخَوُّفَـات المُوَاطِنين المَغاربة ؟

25) إن السماح لِأَعْـدَادٍ هامّـة، وَمُتَزَايِـدَة، من الإسـرائيليّين، بـأن يَسْتَـقِرُّوا في المغرب، وأن يحصلوا على الجنسـية المغربيـة، وَأَنْ يَحْظَ وْا كَـ «طَائِفَة يَهُوديَة» بِامْتِيَّازَات خَارِقَة، يُحْتَمَل جِدًّا أن يُؤَدّيَ إلى تَصَاعُد تَأْثِير هؤلاء الإسرائيليّين على باقي سُكَّان المغرب، في مُختلـف مَيَـادين الحيـاة (الاقتصـادية، والبَنْكِيَـة، وَالمَالِيَـة، والسياسـية، والإِعْلَامِيَـة، واللُّغَوِيَة، والمُخَابَرَاتِيَة، والثقافية، الخ). لكن لا أحد يَقدر اليوم على أن يُثْبِتَ، أو أن يَضْـمَنَ، أن هـذا التَـأْثِير لَنْ يكـون سَـلْبِيًّا، أو مُخَرّبًـا. بـل ***المُتَوَقَّـع هـو أن يتصـرّف هـؤلاء «الإسـرائيليّين مِن أَصْـل مَغْـرِبي» كَأَشْـخَاص أَوْفِيَّاء لِلْكِيَّان الصَـهْيُوني الإِسْـرَائِيلي. حيثُ أنـه، مَـا دَامَ «الإسرائيليُّون من أصل مغربي» مُنَاصِـرين لِلصُّـهْيُونِيَة، وَلِإِسْـرَائِيل، فالاحتمال الأكبر هو أنهم سَيَتَصَـرَّفُون كَأَشْـخَاص أَوْفِيَّاء لِإِسْـرَائِيل، وَكَجُنُود مُـعَبَّئِين لِخِدْمَة المَشْرُوع الصَّهْيُوني. وَكُلَّ أَفْعَـالِهم سَـتُوَجَّهُ لِـ دَعْم سِيَّاسَـات دَوْلَـة إِسْـرَائِيل، بِاعْتِبَارِهَـا دَوْلَـة إِسْتِـعْمَارِيَة، وَعُنْصُرِيَة، وَإِمْبِرْيَالِيَة.***

26) قَد سَبَقَ أن عَبَّر كَثِير مِن مُوَاطِنِي المَغْرِب على اِنْشِـغَالَاتِهم، وَعَن تَخَوُّفَـاتِهم، مِن أن ***يسـتفيد هـؤلاء «الإسـرائيليّين من أصـل مغربي» مِن علاقاتهم مع دَوْلَة إسرائيل، ومع الدول الغربية القويـة،***

لكي يُهَيْمِنُوا في المغرب على مُجْمَل الأنشطة الاقتصادية، بما فيها ميادين الصناعة، والمُعِدَّات الصِنَاعِيَة، والتجارة، والبُنُوك، والمَالِيَة، والتِكْنُولُوجِيَّات، والعُلُوم، والإعْلَام، والسياسة، واللُّغَات المُتَدَاوَلَة، والثقافة، والفنون، والمُؤَسَّسَات التَمْثِيلِيَة، الخ. ومن المُحْتَمَل أن يَتَحَوَّل كَثِيرُون من «الإسرائيليّين مِن أصل مغربي» إلى وُكَلَاء تِجَارِيّين في المغرب، يُمَثِّلُون شَرِكَات إِسْرَائِيلِيَّة، يَرْتَبِطُ مُعْظَمُهَا بِشَكْل أو بِآخَر بِالجَيْش الإِسْرَائِيلِي. لكن السُلْطَة السياسية في المغرب لَا تَهْتَمُّ بِانْشِغَالَات المُوَاطِنِين.

خُلَاصَة جُزْئِيَة أُولَى : لقد وَجَدَت الدُّوَل الغَرْبِيَة الإمبريالية، والحركة الصهيونية، في السُلْطَة السياسية القَائِمَة في المغرب، فَرِيسَةً طَازِجَة، وَسَاذَجَة، وَسَهْلَة التَأْثِير. وَسَتَسْتَغِلُّ الإِمْبِرْيَالِيَة وإِسْرَائِيل هذه الفُرْصَة بِلَا شَفَقَة، وَلَا رَحْمَة، لِتَحْقِيق أَهدافها الاِسْتِعْمَارِيَة، وَالإِمْبِرْيَالِيَة. وَسَيَكُون مَصِير شعب المغرب مُعَرَّض لِلْخَطَر.

خُلَاصة جُزْئِيَة ثَانِيَّة : وَاجِبُ السُلْطَة السياسية، التي تَطْمَحُ إلى أن تَكُون «وَطَنِيَة»، وَمُجَنَّدَة لِ «خِدْمَة الشعب»، هُوَ تَجَنُّب، ***وَمَنْع، تَشَكُّل هَوِيَّات «طَائِفِيَة» دَاخِل المُجْتَمَع***، سَوَاءً كان ذلك على أساس الدِّين، أم اللغة، أم الجِهَة، أم القَبِيلَة، أم الجُغْرَافِيَة، أم الإِثْنِيَة (éthnie)، أم العِرْق، أم لَوْن البَشْرَة، أم الاقتصاد، أم الوَظِيفَة، الخ. وَإِلَّا، أَصْبَحَ البَلَد المَعْنِي مُعَرَّضًا لِلتَفَكُّك، والاِنْحِطَاط، والخَرَاب. ***والسَبِيل لِتَلَافِي الاِنْحِلَال والتَخَلُّف، هُو تَقْوِيَة «الدِيمُوقْرَاطِيَة التَشَارُكِيَة»، وَالمُوَاطَنَة المُتَسَاوِيَة، وَ«العَدَالَة المُجْتَمَعِيَة»، وَمُحَارَبَة الرَّأْسَمَالِيَة المُفْتَرِسَة.***

خُلَاصة جُزْئِيَة ثَالِثَة : الحَلُّ الوَحِيد المُلَائِم لِمُعَالَجَة الْمَشَاكِل المُعَقَّدَة، والمُقْلِقَة، التي تُثِيرُهَا إِشْكَالِيَة «تنظيم الطائفة اليهودية المغربية»، هو التَرَاجُع التَّام لِدَولة المغرب عن كُلّ هذه القَرَارَات، وَإِلْغَاء كل شَكْل مِن أشكال «الطَائِفِيَة» في المغرب، وَمَنْعُهَا كُلِّيًا،

وَنِهَائِيًّا، بِقُوَّة القَانُون؛ وكذلك التَرَاجُع الكُلِّي، والنِهَائِي، عَن كُلّ أَشْكَال «التَطْبِيع بين دولة المَغرب ودولة إسرائِيل»؛ والتَعَامُل مَعَ كلّ الإِسْرَائِيلِيّين، المُنَاصِرين لِلصَّهْيُونِيَة، وَلَوْ كَانُوا مِن أَصْل مَغْرِبِي، كَأَعْدَاء لِشَعْب فَلَسْطِين، وَلِشَعْب المَغْرِب، وَلِكُلّ الشُّعُوب التَوَّاقَة لِلْحُرِّيَة.

رحمان النوضة

(3 شتنبر 2022. هذا النصّ هو مُقْتَطَف مِن كتاب لِرَحْمَان النوضة، وعنوانه: نَقْد الصَّهْيُونِيَة).

(1) مَقَال عبد السلام بنعيسي، تحت عنوان: "حزمة من التدابير لفائدة اليهود المغاربة... فهل من مزيد؟"، نُشِرَ على موقع "السؤال"، في يوم 15/07/2022، في رُكْن "قضايا وآراء".